الرعي وتربية الحيوانات بالمغرب الأوسط في العهد الزياني

الأستاذة/ علي زازو صورية
(طالبة دكتورالية)
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة سيدي بلعباس – الجزائر

Abstract :

We try in this article to show the farming profession enter alzianide, which served as the nerve economy because of their importance, as most of its inhabitants were engage in this profession for an abundance of fertile land and the vast plains, running water in Wadi lorit, Wadi alsevsiv, plus eye and other streams are as important as stated in the books of the pilgrims and geography mentions Hassan Al Wazzan "contain an elaborate network of canals in the inner city and beyond.

مقدمة:

احترف الزيانيون مهنة الفلاحة، فكانت بمثابة العصب الذي يقوم عليه الاقتصاد لما لها من أهمية، حيث أن معظم سكانها كانوا يحترفون هده المهنة ذلك لوفرة الأراضي الخصبة والسهول الواسعة، والمياه الجارية في وادي الوريط1، ووادي الصفصيف،2 بالإضافة إلى العيون ومجاري أخرى لا تقل أهمية كما جاء في كتب الرحالة والجغرافيا يذكر الحسن الوزان" احتواءها على شبكة محكمة للقنوات في داخل المدينة وخارجها "3.

ولعل ابرز نشاط يتبع الفلاحة هو الرعي وتربية الحيوانات بمختلف أصنافها، حيث حظي الجانب الرعوي بالاهتمام البالغ، وقد ورد ذلك في كتب الرحالة والجغرافيا حيث ذكرت الأصناف الحيوانية التي شاعت تربيتها " ومكاسبهم الشاء' والبقر ' والخيل في الغالب للركوب والنتاج، وربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم شان العرب منها ومعاش المستضعفين منهم بالفلح، وجواجن السائمة ومعاش المعتزين أهل الانتجاع والاظغان في إنتاج الإبل وظلال الرماح ...' ولباسهم وأكثر آثارهم من الصوف"4.

فبامتداد المراعي لا سيما على سفوح الجبال، والسهول خاصة بعد موسم الحصاد وعلى ضفاف الأنهار، والأودية تتواجد أعشاب ونباتات طبية ساعدت على تربية الحيوانات فالأغنام والنحل والماعز ترعى في الجبال وعلى سفوحها أما الخيول والأبقار تربى في السهول وحول المروج5.

1– تربية المواشي : ومن هنا سوف نذكر بعض الأصناف التي كانت شائعة :

الإبل الأغنام والأبقار الخيل البغال يقول صاحب الاستبصار "وللمغرب الأوسط مدن كثيرة ...كثيرة الغنم والماشية طيبة المراعي ومنها تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس لرخصها وطيب لحومها"6.

كان سكان المناطق الجبلية يهتمون بتربية المواشي كقبائل توجين ومغراوة أما قبائل الجنوب فاغلب حيواناتهم المعز الإبل وفيما يخص تربية الخيل والبغال والحمير فيبدوا أنها كانت تتم في رعاية سكان السهول والهضاب .

والمسيلة كانت تكثر بها تربية المواشي والبقر وكذلك جزائر بني مزغنة "ولأهل شرشال ومواشي وأغنام كثيرة وأكثر ومدينة وجدة 7،ومراعيها أنجع المراعي وأصلحها للماشية ويذكر انه يوجد في الشاة من شياههم مائتي أوقية شحما ويصنعون من صوفها أكسية ليس لها نظير في الجودة "8.

كانت تربى كل أصناف الحيوانات من غنم وضان وماعز وأبقار وابل ودجاج وإوز وحمام وبغال وحمير قال القلقشندي :" أنها زكية الضرع " أي بمعنى ذات جودة9، أما الإدريسي فقد أشار إلى وفرة اللحوم الحمراء بها فقال عنها أنها شحميه سمينة ووهران كانت توفر عددا كبيرا من قطعان الماشية التي كانت تباع بأسعار زهيدة10، ولعل السبب الرئيسي في كثرة المواشي يرجع بالدرجة الأولى إلى توفر الكلأ والماء .

2-الخيول :

اهتم الموحدون بتربية الخيول11، وتحسين أنسابها واستجلابها وتبعهم في ذلك الزيانيون خاصة مع استقرار عرب المعقل وزغبة بالمغرب الإسلامي فنقلوا خبرتهم في تربية الخيول وتحسين أنسابها،12 وكانت الخيول البربرية تتحمل الشدة والمتاعب كما امتاز أهل تلمسان بتزيين خيلهم فكانوا يصنعون لها الألجم والسروج والركاب وجلال الفرس وكلها تمثل عدة الخيل كما أنهم اهتموا بترويضها لاستعمالها في مسابقات الفروسية والألعاب التي كانت تجرى على مستوى المملكة إلى جانب الاستعراضات العسكرية والمناسبات التي يحتفل بها السلاطين .

ومن هنا كثر عدد رؤوس الخيول وكانت تصدر إلى اروبا كما استعملت كهدايا إلى الملوك وتذكر المصادر 13،أن الظاهر برقوق ملك مصر أرسلت إليه خيول كهدية فأعجبته وأقدم على شراء مجموعة منها لكي يهجنها ويرعاها ودلك لجودتها وكانت تسمى بالخيول البربرية عندما أراد شراء الخيول مر بتلمسان فزوده السلطان أبو زيان بن أبي حمو الثاني14، بجياد بلغ عددها ثلاثون جواد ما بين سنتي (797ه -1394م/801ه-1398م).

وعندما تأخر عليه وصول الخيل من المغرب أراد أن يبعث من أمرائه من ينتقي له ما يشاء بالشراء فعين لدلك مملوكا من مماليكه منسوبا إلى تربية الخليلي اسمه قطلونيا فقام بإرسال هدايا من القماش والطيب والقسي لكل من المغرب تونس والمغرب الأوسط سنة 799ه/1396م فرجع بالخيل وصاحب تلمسان أمده بثلاثين جوادا وصاحب تونس أمده بثلاثين جوادا أيضا ' أما صاحب المغرب فأمده بخمسة وثلاثين جوادا15 .

3-تربية الطيور :

أما عن تربية الطيور فقد حضيت باهتمام وخاصة تربية الدجاج16، وفرت الثروة الحيوانية مجموعة من المواد الاستهلاكية كالشحم والزبدة والسمن وأنواع الألبان والبيض .

4-تربية النحل :

وجدت تربية النحل بالحقول الزيانية يقول الإدريسي وهران العسل بها موجود وكذلك السمن والزبد والبقر والغنم بها رخيصة بالثمن اليسير ومراكب الأندلس والعسل كانت تباع منه كميات كثيرة في الأسواق الزيانية إلى جانب المواد الاستهلاكية الأخرى .

وهو على نوعين جبلي بري يعيش في الكهوف والأشجار وقد كان منتشرا عبر مناطق المملكة والثاني هو النحل المستأنس بالتربية في الاجباح17 .

5–صيد الاسماك :

أما الثروة السمكية فقد شهدت اهتماما من طرف السكان القاطنين بالمدن الساحلية مثل وهران ' برشك ،مستغانم تنس ولم تتواجد هده الثروة بالمدن الداخلية لبعدها ولعدم توفر وسائل التبريد أنداك فلجا السكان إلى تجفيفها وتمليحها وتركها في مكان ظليل وبيعها في أسواق مختصة ببيع السمك بكميات كبيرة 18.

ومما لاشك فيه هو أن صيد السمك كان مزدهرا بالسواحل الزيانية ولعل أشهر نوعين من الأسماك جاء ذكرها عن لسان ابن البيطار حيث أنهما من بين أشهر الأسماك صيدا وطعمة لدى أهل المغرب السواحل أولهما سمك يسمى" القناطة"19 ويعرف يالسيبيا ولا يزال هدا النوع متوفرا والنوع الثاني يسمى "العرم"،20 وهو سمك السردين المشهور حتى يومنا هذا.

إضافة إلى صيد الأسماك هناك نوع آخر من الصيد هو صيد المرجان ذكر ابن حوقل أن هذا النوع من الصيد كان بمدينة تنس االبحرية وأنه كانت توجد به كميات تبدو معتبرة هذا وقد ذكر المرجان الذي بمرسى الخرز ببجاية الذي كان يتوفر على كميات كبيرة :"وهو أجل جميع المرجان الموجود بسائر الأقطار ...ويقصد التجار هذه المدينة فيخرجون منه الكثير إلى جميع الجهات21 .

وخلاصة القول هو أن الدولة الزيانية كانت أرضا طيبة زكية وجدت بها مختلف أوجه الحياة الرعوية من تربية المواشي إلى الخيول التي كانت ذات صيت في مختلف الأرجاء البلاد العربية حتى سميت بالخيول البربية لصلابتها وقوتها في حين انه قد راج الصيد بأنواعه كما عرفوا بتجفيف الأسماك كل هذا راجع إلى اهتمام الدولة ومحاولتها لتطوير الاساليب الفلاحية لانتاج اكثر تنوع .

الاحالات:

1-جبل اللوريط يقع هذا الوادي شرق مدينة تلمسان ، يبعد عنها حوالي سبع كيلومترات ، أقامت به الجالية الأندلسية ، وهو في طريق الداخل إلى المدينة في ممر ضيق بين جبلين كتاب الاستبصار ص176.

2-نهر الصفصيف هو نهر قريب من تلمسان ،لا يبعد عن وادي اللوريط شرق المدينة ، كانت عليه عدة ارحاء الحميري الروض المعطار في خبر الأقطار مطبعة هيدر لبرغ بيروت ط2 1984، ص318.

3-الحسن الوزان وصف إفريقيا، ط2،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ج2، ص20.

4-عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المجلد 6، ص175- 176 .

5-إسماعيل سامعي، معالم الحضارة العربية الإسلامية ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007ص275.

6-مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، ط10 ،مطبعة جامعة الإسكندرية، 1958م ص 179.

7-وجدة هي مدينة قديمة وقد أعاد بناءها زيري بن عطية سنة 384ه-994م، وتبعد عن تلمسان بثلاث مراحل وهي مدينة كبيرة ،مشهورة قديمة كثيرة البساتين والجنات والزروعات، والمياه والعيون، طيبة الهواء ومراعيها من أنجع المراعي: ينظر الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار مطبعة هيدر لبرغ، بيروت ط2 1984 ص67 ينظر أيضا: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار الثقافة، بيروت، ج1 ط3، 1983 ص12.

8-عبد الرحمن ابن خلدون، العبر المصدر السابق، ج7 ص156.

9-أبو العباس احمد القلقشندى، صبح الأعشى، في كتابة الانشا، المطبعة الأميرية، القاهرة ب- ط 1338ه/1919م ج5 ص113.

10-القلقشندي، المصدر السابق ص 123.

11-السلاوي الاستقصا

12-مصطفى أبو ضيف، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982 ص311.

13-العبر نفسه ص 708.

14-أبي زيان بن أبي حمو، تولى حكم دولة بني زيان، سنة 797ه وخلع من طرف أخيه محمد عبد الله بن أبي حمو بمساعدة المرينيين سنة 801ه، التنسي نظم الدر والعقيان، المصدر السابق، ص 206ص 211.

15-نفسه العبرص-ص 710-714.

-16ATALAH dhina –le royaume abdelouadide a l'èpoque d'Abou Hammou Moussa 1er D'ABOU TACHFIN 1ER OFFICE DES PUBLICATION UNIVERSITAIRES ALGER.PP34-35.

17- ابن حوقل أبي القاسم النصبي ،كتاب صورة الأرض، جزءان دار صادر بيروت، الطبعة الثانية، طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل، 1938م ص78.

18-العقباني، تحفة الناظر وغنية الذاكر، تحقيق علي الشنوفي، مطبعة الكاثوليكية، لبنان 1968 ص230.

19-الونشريسي احمد بن علي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب تحقيق مجموعة من الأساتذة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1981م المجلد 2 ج3 ص47.

20-نفسه ص121.

21- المغرب العربي، للإدريسي المصدر، السابق ص153.